

جهاد المرأة الريفية خلال الثورة التحريرية (1956-1962م) منطقة خليل أنموذجا
The Jihad of the rural woman during the liberation revolution (1956-1962) Khelil region as a model

مصطفى بن عريب^{*1}

جامعة المسيلة محمد بوضياف (الجزائر)

moustafa.benarib@univ-msila.dz

<https://orcid.org/9329-8723-0000-0009>

تاريخ الاستلام: 14-11-2025 تاريخ القبول: 03-04-2026 تاريخ النشر: 2026-05-19

ملخص:

يعد طرح موضوع نضال المرأة الريفية وجهادها بمنطقة خليل في الثورة التحريرية مساهمة في كتابة وتدوين التاريخ المونوغرافي للمنطقة، ومحاولة بسيطة لرأب وترميم جوانب ظلت لعقود مغمورة ومسكوت عنها من التاريخ النضالي للمرأة والذي خلص لأهمية وفعالية دور المرأة بمنطقة خليل ولا سيما منهن أمهات وزوجات المجاهدين والشهداء وأبنائهن سواء من خلال صبرهن وقدرتهن على تحمل ما تعرضن له من سجن واستنطاق وتعذيب أو بمشاركتهن الشخصية في تأمين المجاهدين ونقل المؤن والأخبار والإشراف على مراكز جيش التحرير ومراكز الاتصال في أصعب الظروف.

كلمات مفتاحية: جهاد المرأة: الثورة: منطقة خليل: التاريخ المحلي.

Abstract :

The subject of the struggle and jihad of rural women in the Khelil region in the liberation revolution is a contribution to write the monographic history of the region and a simple attempt to seize and restore aspects that remained for decades immersed and silent about them from the struggle history of women, which concluded the importance and effectiveness of the role of women in the Khelil region, especially the mothers and wives of the Mujahideen and the martyrs and their children, whether through their patience and their ability to bear what they have been subjected to from imprisonment And torture or by their personal participation in securing the Mujahideen, transferring supplies and news, and supervising the Liberation Army centers and communication centers in the most difficult circumstances.

Keywords: Jihad Women, Revolution, Khelil Region, Local History.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

عُرفت الثورة التحريرية الجزائرية خلال القرن العشرين بأنها ثورة ذات امتداد شعبي واسع، إذ انخرطت الغالبية الساحقة من أبناء الشعب الجزائري في العمل الثوري، سواء كجنود وضباط في الجبال وساحات المعارك أو مسبلين وفدائيين وخلايا داعمة، ضمن ما عرف باللجان الخماسية في المدن والقرى، أو من خلال احتضان عموم الشعب للمجاهدين والثوار في منازلهم وتقديمتهم للثورة كل ما يملكون، بما في ذلك أرواحهم إن لزم الأمر، وفي هذا التوجه أظهرت المرأة الجزائرية حساً وطنياً وقوة وجلدا جعلها تشارك الرجال في مختلف أطوار ومراحل الثورة وفي مختلف الأعمال والمهام الثورية السياسية والعسكرية والطبية والاعلامية وغيرها، فكانت بكل صدق مثالا للتضحية والشجاعة والإقدام وحق لها أن تنال نصيباً معتبراً من الأبحاث والدراسات التاريخية المتعلقة بالثورة التحريرية⁽¹⁾

على أنها لم تكن بالقدر الكافي لتعالج دور المرأة الجزائرية في دعم ومساندة الثورة ولا سيما منها المرأة الريفية التي وجدت نفسها في صميم الثورة لانتشارها مبكراً بالكتل الجبلية وعلى حواف الأودية وحيث القرى والمدامر، لتكون بذلك المرأة الريفية إحدى المكونات الرئيسية في الحركة الثورية الجزائرية، لكنها كثيراً ما اختزل تاريخها الثوري المشرف ضمن ما يعرف بالتاريخ الشفوي والروايات الشعبية المتداولة بين العامة، المهتدة بالاندثار والزوال مع مرور الوقت ولم تنل حظها ونصيبها من الدراسات التاريخية الأكاديمية⁽²⁾ وهو ما جعلنا نحاول في هذه الورقة البحثية البسيطة أن نتداركه بجمع أكبر قدر ممكن من نصوص وروايات وكذلك مما هو متاح لحد الساعة من وثائق الأرشيف الفرنسي تناولت أو ألمحت لمكانة ومجهودات المرأة بمنطقة خليل خلال الثورة، مستنديين في هذا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي محاولين التساؤل عن بعض مظاهر وأشكال معاناة المرأة بقرى خليل خلال هذه الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر. فهل نجحت المرأة في هذه الأنحاء الريفية في كسب ثقة القيادة الثورية؟ وهل أوكلت لبعضهن مهام ومسؤوليات بلغنا بفضلها مكانة المجاهدات في سبيل الوطن؟

1- مظاهر معاناة المرأة خلال الثورة بمنطقة خليل:

سارع سكان منطقة خليل⁽³⁾ وقراها في الالتفاف حول الثورة وفي استقبال الطلائع الأولى من المجاهدين القادمين شهر ماي سنة 1956 (Rapport sur l'arrivée des rebelles à Davoust, Monsieur l'administrateur de la C.M des Maadid, 1956) بشكل خاص من منطقة القبائل فكانوا بذلك يجهلون الكثير عن الخصائص الطبيعية والاجتماعية لخليل وقراها، ذات الطابع الريفي الجبلي وبحاجة ماسة لمساعدة السكان المحليين (الحافظي، 2018، الصفحات 33-34)، وهنا بادر العديد من رجال وشباب منطقة خليل بالانضمام للعمل الثوري سواء ضمن جيش التحرير أو كمسبلين وأعضاء في اللجان الخماسية، ومختلف التنظيمات السرية التي أقامت الثورة في المنطقة قصد تنظيمها وهيكلتها في العمل الثوري، ويبدو أن تصاعد الأحداث وفعالية العمليات العسكرية والفدائية التي شهدتها مناطق متفرقة من خليل على غرار جبل عقار والواطية وولاد رابح ونجاحها في اختراق القرى المعمورة من قبل المستوطنين وإلحاقها أضرار جسيمة بممتلكاتهم وترهيبه. (المنظمة الوطنية، 2014، صفحة 264، 265)

جعل المستدمر الفرنسي يُعجل هو الآخر باتخاذ جملة من الإجراءات والتدابير العسكرية التعسفية، على غرار تشديد الرقابة على المشبوهين وملاحقة المنخرطين في الثورة والتضييق على أسرهم وذوهم، فضلاً عن نشرها للعديد من المراكز العسكرية وفرق الحركي والدفاع الذاتي على حواف جبل عقار وفي بعض القرى قصد عزل الثوار عن السكان والحد من نشاطهم المتنامي بشكل لافت. (المنظمة الوطنية، 2014، الصفحات 158، 159-161-166)

ففي ظل هذا الوضع المتأزم أخذت المرأة في منطقة خليل على عاتقها مسؤوليات ثورية ضخمة غير مبالية بمخاطر ونتائج مشاركتها للرجال في دعم الثورة ومساندتها فظهر منهن نساء كن على قدر عالي من النضال وبلغن مصاف الجهاد فبذلن في سبيله كل ما بوسعهن لدعم الثورة والمجاهدين، ويبدو أن تصاعد الأحداث وتفاقم الصعوبات التي فرضتها الإجراءات العسكرية والسياسية من طرف المستدمر الفرنسي في الولاية التاريخية الثالثة قد زاد هو الآخر من حاجة الثورة للمرأة، بل أصبحت المرأة مع مرور الوقت أحد الاستراتيجيات والوسائل الناجعة لمواجهة وتجاوز المخططات الاستعمارية.

ففي هذا السياق يؤكد المجاهد عبد العزيز وعلي في كتابه صفحات من تاريخ الثورة بمنطقة القبائل على نخوة المرأة وشموخها ويقظتها في مراقبة الأوضاع وتدخلها من حين لآخر في انقاذ المجاهدين وغيرها من الأعمال الجليلة التي بذلتها المرأة في الجهاد الثوري (وعلي، د.ت، الصفحات 21-25)، وفي هذا المنوال يشيد كل من المجاهد عمر الحافظي (1934-2021)⁽⁴⁾ والمجاهد فرحات زيداني (1939-2020) بأهمية الدور الذي قدمته المرأة في أرياف خليل وفي المناطق المجاورة بشكل عام، موضحين بأن العجائز والنساء كن بمثابة المفتاح الذي ولجت من خلاله الثورة للعديد من القرى والمدامر وأنهن كن بكل صدق شقائق الرجال في حماية المجاهدين وإيوائهم لهم⁽⁵⁾.

وعلى صعيد آخر قدمت نساء المجاهدين والشهداء وأمهاتهم مثالا حيا للتضحية والصبر والوفاء بقرى خليل فلم يثنهن ما تعرضن له من عنف واعتقال واستنطاق واقتحام لمنازلهن وترويع أطفالهن على مؤازرة أزواجهن وكنتم أسرار الثورة واستقبال المجاهدين وإرشادهم والقيام بأعمال جليلة في ظروف قاهرة ومن ذلك اعتقال السيدة الكريمة فطوم شلال زوجة الشهيد بلقاسم موهوبي (1907-1961) سنة 1956 بسجن عين تاغروت لمدة تجاوزت العشرة أيام وتعرضت هناك لأبشع أنواع التعذيب، ومكثت في زنزانة رفيعة أولادها الأطفال آنذاك لخميسي وزينب وطفلة رضية تسمى زهية والتي بقيت مع أختها الصغيرة ليومين في الزنزانة بعدما أفرج على السيدة فطوم واستمر حبس الأطفال بما فهم الرضية ليكونوا بمثابة رهينة وطُلب من والديهم نقل رسالة إلى زوجها تخبره فيها بضرورة تسليم نفسه أو تعرض أطفاله وأولاده للسجن والقتل وبعد إطلاق سراحهم، توفيت الطفلة الرضية نظرا لتدهور حالتها الصحية خلال مكوثهم في السجن ولعدم قدرة أختها الصغيرة على رعايتها كما ينبغي عند غياب الأم (موهوبي، 2020).

كما تعرضت السيدة عائشة هداغ وهي زوجة الشهيد زرقون النذير (1934-1957) بعد فراره من الخدمة الاجبارية بالجيش الفرنسي بتاريخ 12 جوان 1956 وانضمامه لجيش التحرير الوطني وإلتحاقه بالمجاهدين في جبل عقار (Rapport sur l'enlèvement de Zargoune Nadir, Administrateur de la C.M. des Maadid, 1956 بقيادة الشهيد بلقاسم أطوطوح (شعوة، 2021، صفحة 307) للمضايقة واستدعيت

عدة مرات للتحقيق معها حول مكان زوجها (هداج ، 2022)، وفي هذه السنة أيضا اقتحمت قوات الجيش الفرنسي بدوار ولاد تاير المعروفة حالياً بالشفاء منزل الشهيدين عمار بلحاج (1893-1956) وابراهيم بلمانع (1907-1959) عدة مرات للتحقيق مع زوجاتهم، أين تعرضت السيدتين قجة رقية وفحيمة فاطمة للضرب والتعنيف عدة مرات لرفضهما تقديم أي معلومات حول نشاط زوجهما عمار بلحاج (بلحاج ، 2025). كما تم تجويع السيدة زروقي العلجة حيث استولى الفرنسيون على كل المؤونة والأطعمة التي وجدوها بالمنزل مع تحطيمهم للأواني والأثاث وتهديدها بسجن أطفالها لامتناعها عن تقديم أسماء الأشخاص الذين كانوا يزورون منزلها، ويساعدون زوجها الشهيد ابراهيم في أداء مهامه الثورية (بلمانع ، 2025).

وسيقت السيدة الزهرة بوناب عدة مرات من قرية مريوت في سيارة جيب عسكرية إلى مركز الدرك الفرنسي بعين تاغروت للتحقيق معها على خلفية فرار زوجها الشهيد كتفي حسين (1924-1960) من سجن عين تاغروت ومطالبتها بمساعدتهم في تحديد وجهته، لكنها أصرت على عدم معرفتها بأي شيء يتعلق بفراره أو وجهته، بل اتهمتهم بأنهم قاموا بقتله ويريدون المناورة فقط لإخفاء فعلتهم (بلكتفي ، 2025). واقتيدت السيدة قطاف برنية زوجة الشهيد اسعيد بن عريب (1930-1960) في أواخر 1959 من أحد المنازل بقرية الخربة إلى منطقة جربة قرب جبال عقار من الصباح الباكر، وهناك تعرضت للاستنطاق والتعذيب ليطلق سراحها في المساء في اليوم نفسه وتلجأ بعد تضيق الخناق عليها للفرار مع أطفالها من قرية الخربة والاختباء لأكثر من سنتين عند أقاربها بالعاصمة (بن عريب، 2021، صفحة 75).

ولم يتوقف الأمر عند سجن وتعذيب المرأة أو تشريدها من منزلها فحسب بل كانت المرأة من ضحايا المعارك والكمائن والقصف الذي عرفته المنطقة من حين لآخر، ومن ذلك استشهاد مبارك بلعيفة وزوجته السيدة بلعيفة عائشة بنت مرزوق وزوجة ابنه عبد القادر وهي مسعودة كراش بنت محمد وأطفالها الربيع والتومي وطفل رضيع⁽⁶⁾ في القصف الجوي الذي تعرضت له جبال عقار أثناء معركة 22 فيفري 1957 (شعوة، 2021، صفحة 202).

وفي هذه المعركة أيضا وجراء القصف العشوائي الذي امتد لضواحي عقار وقرية الخربة أصيبت السيدة للاله عطوي بجروح بليغة⁽⁷⁾، ومن مظاهر معاناة المرأة أيضا وتضحياتها جراء مواقفها الثورية فرض العدو الفرنسي على العديد من زوجات وأقارب المجاهدين والشهداء وأطفالهم بعد تدمير منازلهم وحرق واتلاف ممتلكاتهم الإقامة بمحتشد الخربة أين أُجبروا على ترك قراهم وذوهم ودفعوا بهم للعيش بمنازل خالية بمحاذاة ثكنة الجيش الفرنسي تحت الرقابة الشديدة.

فأقامت السيدة بركاهم لعمش زوجة الشهيد سليمان زرقون (1924-1961) بأحد المنازل الملاصقة تماما للمحتشد. ونقلت السيدة بن زغدة فطيمة (المعروفة باسم العلوانية) زوجة الشهيد لخضر جدي الدي (1921-1961) وكذلك السيدة خضرة جدي زوجة المسعود ابن أخ الشهيد لخضر مع ابنتها مليكة إلى نفس المحتشد في شهر سبتمبر 1961 وهو تاريخ المعركة التي سقط فيها لخضر جدي شهيدا ودمر منزل العائلة بالكامل⁽⁸⁾ (المنظمة الوطنية للمجاهدين ، 2002، صفحة 320)، هذا وأصيبت أخت الشهيد السيدة حدة جدي يوم استشهادها وحرق منزلهم وتدميره بجروح بليغة (بن سالم، 2020، صفحة 20) نقلت على إثرها لمستشفى

سطيف وظلت تعاني من عدة إصابات وعاهات مستديمة بعد خروجها لتُنقل هي الأخرى للإقامة مع أقاربها في محتشد الخربة إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية (جدي ، 2025).

وعلى صعيد آخر تعكس هذه الأحداث والمظاهر القاسية التي عاشتها المرأة والأسرة بخليل على سبيل المثال جانبا واضحا من سياسة العدو في تجويع الجزائريين ومحاولاتهم كبح جماح الثورة وقطع سبل الدعم الشعبي بتجسيد أساليب التجميع والعزل والاعتقال التعسفي دون أي تمييز بين الأطفال والنساء والشيوخ والتي تركت نتائج خطيرة ما كان للثورة والشعب أن يتجاوزها لولا تكريسهم لمبادئ التكافل والتضامن والتضحية في سبيل الوطن.

2- نماذج من المجاهدات والمناضلات بخليل (قراءة في السير والأدوار) :

رغم المعاناة القاسية والظروف الصعبة التي كانت تعيشها المرأة بقرى خليل ومدارsherها النائية فقط كان للبعض منهم دور مهم جعلهن يصلن لمرتبة المجاهدات والمسؤولات عن مراكز جيش التحرير لاستقبال المجاهدين أو للاتصال ونقل الأخبار بين القيادات الثورية والمجاهدين، ناهيك عن تخزين ونقل الأدوية والمؤونة وغسل ملابس المجاهدين وإعداد الطعام وعلاج الجرحى... والقيام بمهام أوكلت لهن تماشيا مع استراتيجية الثورة ورؤيتها لمعايير وظروف تجنيد المرأة الريفية واستغلال خدماتها. ويبدو أن خصوصية الموقع لمنطقة خليل بالولاية التاريخية الثالثة والمحاذية للولاية التاريخية الأولى، ووجود عدة مراكز عسكرية وصحية بجبال عقار قد دفع الثورة لتكليف المرأة المجاهدة بخليل للقيام بعدة أدوار في آن واحد، فكثيرا ما نجد المجاهدة الواحدة معنية بتسيير مراكز الإيواء والتموين ومسؤولة أيضا على مراكز الاتصالات ونقل الأخبار وهي السبيل الأمثل لتوزيع المساعدات المالية لأسر الشهداء وأبناءهم وتفاديا للتكرار والتداخل سنحاول تسليط الضوء على الدور الغالب للمجاهدات دون أن نغفل المهام الأخرى التي بذلنها في سبيل دعمهن للثورة، ومن بينهن نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1.2 المجاهدة خديجة بن واري (1907-2004م) "الإيواء والاتصال":

خديجة بن واري بنت أحمد بن السعيد و لعويشة حدة (المعروفة باسم كلثوم) من مواليد 6 مارس 1907 ببوقاعة. عاشت منذ طفولتها عند أخوالها لعويشة بعقار دوار عين الترك، لتتزوج مع أحد أقاربها لعويشة سليمان بن عمر سنة 1936، ومع وصول الثورة إلى المنطقة عمل زوجها سليمان كمسبل ورئيس للجنة الخماسية بمشة لارباع بوزقزة بضواحي جبل عقار (المنظمة الوطنية، 2014، صفحة 119) (عميري و مهبوي، 2019، صفحة 60) وأصبح منزل والده عمر أحد مراكز الثورة في عقار اللوطاني، وكان منزلهم بالقرب من عائلة موهوبي لكنه تعرض سنة 1956 للتخريب من طرف المستدمر ورغم إعادة ترميمه، لكن الجيش الفرنسي أعاد تدميره مرة ثانية وتحويل المشتة التي كانوا يسكنون بها لارباع وبوزقزة إلى منطقة مدمرة ومحرمة⁽⁹⁾، اضطر بعدها سليمان وزوجته خديجة للانتقال إلى قرية بسباسة (تعرف أيضا بواد خليل) ليكونوا أيضا بالقرب من عائلة موهوبي التي هاجرت هي الأخرى، وكان منزلهم الجديد عبارة عن بيت طيني متواضع جدا (قربي) وأطلق على خديجة في هذه الفترة من طرف المجاهدين الاسم الثوري "نورة"، وقد تكون هذه أحد الأسباب التي جعلت نشاطهم بعيدا عن الشبهات وعن مراقبة عيون المستدمر الفرنسي وجواسيسه، وعلى العموم استمر الزوجين في العمل مع الثورة فكلف سليمان في هذه المرحلة بنقل الرسائل بين المراكز الثورية والمجاهدين وبحفر المخابئ.

أما خديجة فقد تجاوز دورها في بسباسة إعداد الطعام واستقبال المجاهدين، بل كلفتها الثورة في هذه المحطة بجمع الاشتراكات، ونقل وتوزيع المستحقات المالية على أسر ونساء المجاهدين والشهداء، إضافة لنقل وجمع الأغذية والمؤونة، وبأن تشرف شخصياً وبشكل مباشر على تأمين الاتصالات بين المجاهدين والقيادات الثورية فكثيراً ما انتقلت المجاهدة وهي محملة بالرسائل والتعليمات قصد تبليغها لرؤساء اللجان الخماسية والمسبلين ورؤساء المراكز في مختلف الأنحاء وبذلك أصبح منزل الزوجين مع مرور الوقت مركزاً لإيواء أعضاء جيش التحرير وملجأً للمجاهدين والجرحى ونقطة لقاء واجتماع الضباط والمسؤولين على غرار القاضي الحاج الطاهر من بلدية العناصر والكاتب الشيخ محسنة والوكيل السياسي الشهيد بلقاسم موهوبي (1907-1961) وغيرهم (لعويشة، 2023).

وفي هذا السياق يذكر السيد سليمان كراش أنه قد نُقل سرا سنة 1961 وسنه آنذاك لا يتعدى 11 سنة، بأمر من الثورة من محتشد الخربة بمساعدة المناضل السعيد بن عريب ليلتقي بوالده عضو جيش التحرير أحمد كراش (1930-2016) وهو اللقاء الذي تم حسبه بمنزل وحراسة السيدة خديجة وزوجها سليمان (كراش، 2025). ويبدو أن الثقة التي حظيت بها المجاهدة من طرف بعض القيادات المحلية قد سمحت لها بالتدخل مراراً في تخفيف أحكام المحكوم عليهم من طرف الثورة بسبب تخلفهم عن دفع الاشتراك أو لارتكابهم بعض الأخطاء (لعويشة، 2023).

وعلى العموم فإن حرص خديجة بن واري على تأمين المجاهدين وحسن استقبالها لهم وكتمتها لأسرار الثورة، وضمانها لاستمرار الاتصالات بين مختلف القيادات والنواحي، قد جعل من منزلها من أهم مراكز الثورة للإيواء والاتصالات لا سيما بعد تجهيزه من طرف سليمان بمخبأ تحت الأرض⁽¹⁰⁾ ويعضد هذا القول أكثر الشهادة التي قدمها المجاهد عبد الرحمان بلعربي بأن منزلها كان بصدق من المراكز والملاجئ النشطة في المنطقة لجيش التحرير بواد خليل (بسباسة) إلى غاية توقيف القتال 1962. (بلعربي، 2015، صفحة 265)

2.2 المجاهدة كبايزة العارم (1930-2015) "الإطعام والتموين":

العارم بنت البشير كبايزة وحجاجة سواهل، ولدت سنة 1930 بضواحي جبل عقار دوار عين الترك، تزوجت حوالي سنة 1945 بالسيد أحمد كراش (1930-2016) وأقامت بمنزلها الزوجي بمشقة بوزقزة (كراش، 2025) وبوصول الثورة إلى المنطقة سنة 1956 عمل زوجها كمسبل وتم تكليفه بتوفير المؤونة وإعداد الطعام لفرق جيش التحرير المتواجدة بمغارات جبل عقار (المنظمة الوطنية، 2014، الصفحات 187-196)، القرية من مشقة بوزقزة. وبذلك أصبح منزلهم أحد مراكز دعم وتموين الثورة، ففي هذه الأثناء ظهر دور زوجته العارم والتي تولت مهمة الإشراف مع مجموعة من نساء الأسرة والقرية على توفير وإعداد الطعام على غرار إعداد كميات معتبرة من الكسرة والكسكس بشكل دوري ونقلها من هناك نحو مراكز جيش التحرير بجبال عقار، ومشاركتها في عمليات خياطة ألبسة المجاهدين وغسلها من حين لآخر ونسجهم للأفرشة والأغطية المعروفة محلياً باسم "الحايك والبوشليق وبساط الحلفة" وكذلك بحياكتهم لبعض الألبسة الشتوية كالبرنوس والقشابية، والتي كانت في مجملها تمثل آنذاك مواد تموينية قيمة ومهمة لوحدة الجيش المنتشرة في الجبال والأرياف (كراش، 2021).

رغم المضايقات وحملات التفتيش التي عرفتها المنطقة نجح الزوجين في أداء عملهما بتوفير الإطعام والتموين للمجاهدين إلى خريف 1958⁽¹¹⁾ (شعوة، 2021، صفحة 208). ففي هذا التاريخ أفاق سكان المشتة على قوات الجيش الفرنسي وهي تحاصر جميع المنافذ وتراقب عن كثب جميع المنازل والتي لاحظت تقدم مجاهدين نحو منزل المسبل أحمد كراش فأطلقت عليهما النار ليستشهد أحدهم ويلقى القبض على المجاهد الثاني جريحا. (كراش ا.، 2021)

للتقدم بعدها القوات الفرنسية صوب المنزل المشبوه والذي كان بداخله كل من الضابط الملازم عكو اسماعيل والكاتب كمال فريحاوي وعبد القادر العشاشي. سمحت القوات الفرنسية للنساء والأطفال بالخروج والابتعاد عن المنزل وقبيل خروجهم سلم الضابط اسماعيل حزمة من الوثائق السرية للسيدة العارم والتي قامت بإخفائها داخل ملابس ابنتها الرضيعة، لتبدأ معركة استمرت حوالي أربع ساعات وأسفرت على اعتقال كل من عكو اسماعيل بعد إصابته بعدة جروح وكمال فريحاوي بعد نفاذ ذخيرته واستشهاد عبد القادر العشاشي بعين المكان. (شعوة، 2021، الصفحات 208-245) لينسحب الجيش الفرنسي بعد أن خلف خسائر مادية بليغة بمنازل القرية وممتلكات السكان. (كراش س.، 2025)

لكنهم عادوا في اليوم الموالي للبحث عن الوثائق التي كانت بحوزة المجاهدين والتي سلمتها العارم في تلك الليلة لمجموعة من المجاهدين الذين قدموا للمشتة للاطلاع على أخبارها، وهنا بدأت المعاناة الحقيقية للسيدة العارم والتي خضعت للتحقيق والاستنطاق أمام أطفالها وعدد من الأقارب. إلا أن إنكارها وتمسكها بأنها لا تعلم أي شيء عن أمر الوثائق قد جعلها تتعرض للضرب المبرح ولمختلف أشكال التعذيب من الساعة الثامنة صباحا إلى وقت متأخر من الليل، لتصاب بعدة كسور على مستوى اليد والقفص الصدري، ولم يعد بإمكانها الوقوف على قدميها فحملت من قبل أخيها من الأم قدور ساحلي ومكثت في منزله طريحة الفراش لأكثر من ستة أشهر كما تم تدمير وحرق منزلهم وتخریب كل الممتلكات وتسويتها بالأرض لتقيم بعدها في كوخ متواضع كان من قبل مصلى لأهل المشتة (كراش ا.، 2021).

وفي 12 جانفي 1960 وصلت قوة من الجيش الفرنسي والحركي للمنطقة وتوجهت نحو الكوخ الذي تقيم فيه العارم وأطفالها وطلب منهم الرحيل صوب المحتشد الذي أقامه العدو قرب الثكنة العسكرية بقرية الخربة، حيث فرض عليهم الإقامة بأحد المنازل الملاصقة تقريبا لأماكن الحراسة وبذلك دخلت العارم وأطفالها آنذاك وهم العيد (12 سنة)، سليمان (10 سنوات)، صخرية (8 سنوات) زكية (5 سنوات)، حورية (3 سنوات)، في مرحلة حرجة من الضغط والتضييق والرقابة الدائمة حيث مُنعت العارم وأطفالها من الخروج ومغادرة المنزل لأي سبب كان إلا بترخيص من الثكنة، كما أمر قائد الثكنة أن يتحصلوا على وجباتهم اليومية بانتظام من مطعم الجنود، ولم يسمح أيضا لأي شخص بما في ذلك الأقارب بزيارتهم، باستثناء بعض النسوة من سكان قرية الخربة على غرار السيدة كراش مباركة والسيدة حماسة جحنيط وكذلك زوجة الشريف الغوداني بن عريب السيدة باية الواسع، والاتي قدمنا يد العون لهم كما كن صلة الوصل بين العارم وأطفالها وزوجها المجاهد كراش أحمد ومن خلالهما أيضا وبمساعدة المسبل بلقاسم ساري (1929-2014) تمكنت الثورة من دفع وتوصيل المستحقات المالية الشهرية للعارم وأطفالها وهم في المحتشد إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية (كراش س.، 2025).

3.2 المناضلة تسعديت حجازي (1929- 2016) "الاتصال ونقل الأخبار":

تسعديت ابنة البشير بن عمر حجازي وفاطمة بنت محمد مقني، ولدت سنة 1929 بتفرق بلدية الجعافرة تزوجت من السيد مسعود بغدودي سنة 1949 وانتقلت للبيت الزوجي بخليل مركز أي دافوست. توفي زوجها شهر ديسمبر من عام 1954 وتركها في منزلها تعيل طفلها الربيع وتعيش في ظروف عادية، إلا أن قدم إليها أخوها حجازي الشريف في حالة صحية حرجة وذلك بعد نجاحه في الفرار من سجن مجانة، والذي اضطر أمام تدهور صحته للاختباء والإقامة طويلاً في منزل أخته الأرملة، ليعيد بعد فترة من الزمن الاتصال بالقيادة الثورية من منزل أخته وبذلك أصبح المنزل المتواضع للسيدة تسعديت أحد المراكز الثورية المهمة والاستراتيجية، نظراً لتواجده وسط تجمع المستوطنين وبالقرب أيضاً من وحدة المصالح الإدارية المتخصصة (عمرأوي ، 2022، الصفحات 33-45) (SAS) وأمام تنامي النشاط الثوري للأخ الشريف اضطرت المناضلة تسعديت لتقديم يد المساعدة والمشاركة شخصياً في نقل الرسائل والأخبار المهمة والاتصال مرار بالقيادات الثورية (بغدودي ، 2022).

ويؤكد المجاهد زيداني فرحات على الدور المهم الذي لعبته المناضلة تسعديت وأخوها سواء بتوفير مركز للمجاهدين خلال الحالات الاضطرارية والاستثنائية، في مكان صعب ومحفوف بالمخاطر، أو من خلال تقديمهم من حين لآخر معلومات قيمة حول وضعية المستوطنين وحركة جيش العدو والنشاطات المشبوهة للمصالح الإدارية المتخصصة وكشفهم في بعض الحالات لأسماء المتعاونين مع مصالح العدو. ليكون بذلك حسب رأيه مركز تسعديت من أهم المراكز الثورية لنقل الأخبار وتبادل الاتصالات في القسمة الرابعة من الناحية الرابعة للمنطقة الأولى، مضيفاً بأنه لم يكن من السهل على الثورة تأمين مركز لها وسط قوات العدو الفرنسي (الغياصي، 2020).

ويبدو أن تزايد عدد زيارات المجاهدين وتوافد الرسل لنقل وتوزيع المعلومات والأوامر الثورية قد دفع الأخوين لحفر مخبأ أرضي وسط المنزل قصد توفير حماية أكثر للمجاهدين ومن الذين ترددوا كثيراً على هذا المركز المجاهد ساعد رواج المعروف رباب (بغدودي ، 2022) وهو عريف أول كان نائباً ليسعد عبد القادر في إشرافه على مدينتي عين تاغروت وخليخ مركز (بلعربي، 2015، صفحة 271) والمجاهد فرحات زيداني وسي عبد القادر من منطقة قنزات وغيرهم (بغدودي ، 2022)، حيث يشير البشير بن دحدح (1927-2021) وهو من الذين أقاموا في هذه الأثناء بدافوست وهو صاحب ذاكرة قوية ومشهود له بالصدق وكتمان السر إلى علمه بتوافد عدد من المجاهدين في سرية تامة من حين لآخر لمركز تسعديت وأخوها الشريف واستعمال المجاهدين في بعض المرات عند مغادرتهم لدافوست بسيارة السيد رباعي الزواوي (بن دحدح، 2021).

خاتمة:

يكشف البحث عن دور ومشاركة المرأة الريفية بخليل والقرى النائية المحيطة بها في الثورة التحريرية، العديد من النماذج والتضحيات والمواقف النبيلة التي ظلت للأسف مضمرة ضمن الروايات الشفوية والذاكرة الجماعية لسكان المنطقة وأن مساهمتها بهذه المنطقة لم تكن مجرد أدوار دعم ومساندة مؤقتة بل شكلت عنصراً فعالاً له العديد من المهام التي كانت الثورة بحاجة لها بشكل مستمر ودائم. فرغم الظروف المزرية التي كانت تعيشها المرأة بمنطقة خليل بشكل عام، من فقر وحرمان وقساوة الإجراءات التعسفية التي سلكتها قوات

المستدمر الفرنسي وأعدائه من الحركي والقومية اتجاه السكان والمتعاونين مع الثورة، لكننا نجد نساء حرائر كن في قلب الرحي وعملن مسبلات وفدائيات ورئيسات مراكز وممرضات وتصدين بجرأة وجلد للاعتقالات والاستنطاق والتعذيب بمختلف أنواعه وأشكاله، حيث اضطلعن بمهام متعددة شملت التموين والإيواء ونقل المعلومات وتسيير مراكز الاتصال واستقبال المجاهدين وتوجيههم، ما يعكس حضوراً نسوياً فاعلاً في البنية التنظيمية المحلية للثورة، ويطرح ضرورة إعادة قراءة هذا الدور في تاريخ الثورة التحريرية، والذي يقتضي من الباحث والمؤرخ الجاد أن يقتفي أثره ويستل تاريخه المشرف من مرحلة المشافهة والذاكرة الجماعية إلى مرحلة الكتابة والتدوين، حتى يُحفظ كما يجب وينقل بأمانة للأجيال القادمة وهو التحدي الذي لا يمكن أن يتحقق دون الخوض والتنقيب كما ينبغي في تاريخنا المحلي.

الهوامش:

(1)- من هذه الدراسات على سبيل المثال:

بلحسن بالي (2014)، المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، ترجمة صالي علي حكمت، منشورات ثالة، الجزائر؛ أنيسة بركات درار (1985)، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر؛ مختار بونقاب (2014)، مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، مجلة الحوار المتوسطي، مج 1، ع 1، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.

(2)- من المعروف أن الحديث والتأريخ للثورة الجزائرية يميل أكثر اتجاه تدوين أعمال وبطولات الرجال والتاريخ العسكري كالعناية بالمعارك الكبرى والكمائن. (مختار، 2014، صفحة 189).

(3)- خليل: هي إحدى بلديات ولاية برج بوعريش أطلق عليها خلال العهد العثماني اسم عيون الترك ثم عرفت أكثر باسم خليل نسبة لأحد أفراد الجيش العثماني المرابط آنذاك بحامية برج زمورة وهو خليل ابن قاصد علي وفي سنة 1897 أطلق المستدمر الفرنسي على المنطقة اسم دافوست نسبة للمريشال الفرنسي لويس نيكولا دافوت، تقدر مساحتها بحوالي 222.19 كم² وتشمل العديد من القرى والأرياف من أهمها نذكر: مريوت، بسباسة (واد خليل)، القطار، الخربة، رأس العين، بوشقوف، جبل عقار، الواسعات، أولاد رابح، أولاد حمزة، أولاد بلحاج، الشفاء (أولاد ثاير)، وكانت خليل وقراها أثناء الثورة ضمن الولاية التاريخية الثالثة المنطقة الأولى الناحية الرابعة القسم الرابعة (عمرابي، 2022، الصفحات 22، 23-31-103).

(4)- تحدث الحافظي عن دور المرأة بصفة خاصة في نقل الأدوية من سطيف وبوقاعة إلى الجبال والمراكز الثورية وكذلك عن استعمال النساء في تمكين المجاهدين من الدخول والاتصال بالسكان في القرى بالمنطقة الأولى الناحية الرابعة ولا سيما التي أقام فيها الاستعمار ثكنات عسكرية ومراكز للحركي (الحافظي، 2018، الصفحات 36-37، 54-56).

(5)- أكد المجاهد فرحات زيداني المعروف باسم الغيلاسي عن دور النساء في منطقة خليل خلال الثورة ومن بينهم حجازي تسعديت أرملة بغدودي المسعود بخليل مركز وصماح حمامة زوجة عويشات بلقاسم بالخربة وغيرهم؛ فرحات زيداني الغيلاسي، شهادة تاريخية، بمقر متحف المجاهد برج بوعريش، بتاريخ 17 سبتمبر 2020.

(6)- تم ضبط أسماء الشهداء من النساء والأطفال من طرف السيد العربي بن جبل، شهادة تاريخية، بمنزله العائلي بخليل، بتاريخ 12 ماي 2025.

- (7)- ومن بين الجرحى أيضا الطاهر بن جبل بن زقاو، بلقاسم بقاي، السعيد عطوي وآخرون، عبد القادر عطوي، شهادة تاريخية، بخليل، بتاريخ 19 فيفري 2022.
- (8)- تم ضبط أسماء النساء والأطفال من طرف كراش العيد، شهادة تاريخية، بخليل، بمنزله بتاريخ 21 جوان 2022؛ عاشور وعد الله، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل، بتاريخ 3 ماي 2025.
- (9)- تحول جبل عقار سنة 1957 والعديد من القرى المجاورة له على غرار كلبون بوزقزة إلى مناطق مدمرة خالية من السكان ومحرومة. (المنظمة الوطنية، 2014، صفحة 203).
- (10)- يوضح السعدي شعوة أن منزلها كان مركزا للمؤونة وبه أيضا مخبأ أرضي (شعوة، 2021، صفحة 189، 190).
- (11)- تم اكتشاف المركز في شهر ماي 1958 حسب كل من: كراش العيد، شهادة تاريخية، بخليل، 21 جوان 2021؛ سليمان كراش، شهادة تاريخية، خليل، 29 أفريل 2025م؛ في حين تم اكتشافه في 15 أوت من سنة 1959 (المنظمة الوطنية، 2014، صفحة 300).

قائمة المصادر والمراجع:

الأرشيف الفرنسي:

ANOM, Rapport sur l'arrivée des rebelles à Davoust, Monsieur l'administrateur de la C.M des Maadid, 17 Mai 1956, 218T 374.

ANOM, Rapport sur l'enlèvement de Zargoune Nadir, Administrateur de la C.M des Maadid, le 12 juin 1956, 93703 106.

المصادر المطبوعة:

- الحافظي، أعمار جناد، (2018)، مذكرات جهاد وذكريات نضال، ط1، نشر و.إ.س.ث، الجزائر.
- بلعربي، عبد الرحمان (2015)، من حزب الشعب إلى جيش التحرير، ط1، دار البلاغة، الجزائر.
- وعلي، عبد العزيز (د.ت)، صفحات من تاريخ الثورة بمنطقة القبائل، تقديم محمد الصالح الصديق، منشورات الجزائر للكتب.

الشهادات التاريخية:

- البشير بن دحدح، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل، بتاريخ 4 مارس 2021.
- الحاج بلمانع، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل، بتاريخ 14 ماي 2025.
- الربيع بغدودي، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل 14 جوان 2022.
- الشيخ بلحاج، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل، بتاريخ 12 ماي 2025.
- الطيب هدا، شهادة تاريخية، بمنزله العائلي بخليل، بتاريخ 18 مارس 2022.
- العربي بن جبل، شهادة تاريخية، بمنزله العائلي بخليل، بتاريخ 12 ماي 2025.
- العيد كراش، شهادة تاريخية، بمنزله العائلي بخليل، بتاريخ 21 جوان 2022.
- جدي مليكة، اتصال هاتفي، من سطيف، بتاريخ 12 ماي 2025.
- سليمان كراش، شهادة تاريخية، بخليل، بتاريخ 29 أفريل 2025.
- عاشور وعد الله، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل، بتاريخ 3 ماي 2025.
- عبد الحميد لعويشة، شهادة تاريخية، بخليل، بتاريخ 11 جوان 2023.
- عبد القادر عطوي، شهادة تاريخية، بخليل، بتاريخ 19 فيفري 2022.
- عبد المجيد كتفي، شهادة تاريخية، بمنزله بخليل، بتاريخ 3 ماي 2025.
- فرحات زيداني الغيلاسي، شهادة تاريخية، بمقر متحف المجاهد برج بوعريج، بتاريخ 17 سبتمبر 2020.
- لخميسي موهوبي، شهادة تاريخية، بمنزله العائلي بئر قاصد علي، بتاريخ 26 أوت 2020.

المراجع:

بالي، بلحسن (2014)، المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، ترجمة: صالي علي حكمت، منشورات ثالة، الجزائر.
بركات، درار أنيسة، (1985)، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
عمراوي، جمال الدين (2022)، موسى بن عمر طواهرية الملقب بالخوني (1883-1966م) – مسيرة ونضال -، دار خيال، برج بوعريش.

شعوة، السعدي، (2021)، اماطة الحلة عن تاريخ عر اولاد عبد الله، ط1، مطبعة الثقة، الجزائر.
عميري، عبد القادر وموهوبي، عبد العزيز، (2019)، مدينة خليل تاريخ ومآثر رجال، كنوز الحكمة، الجزائر.
المنظمة الوطنية للمجاهدين (مكتب برج بوعريش)، (2014)، التنظيم الثوري والأحداث العسكرية الكبرى بولاية برج بوعريش أثناء الثورة التحريرية الكبرى، دار الهدى، عين مليلة.

المنظمة الوطنية للمجاهدين (مكتب برج بوعريش)، (2002)، قاموس الشهيد، ج1، دار الهدى للنشر، عين مليلة.
بن سالم، الصالح، (2020)، مذكرات وشهادات المجاهد سي منصر الدراجي مع رفاق السلاح، دار خيال، برج بوعريش.

المجلات:

بن عريب، مصطفى، (2021) المسيرة الثورية للشهيد اسعيد بن عريب، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، ع190.
بونقاب، مختار، (2014) مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر: جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، مج1، ع5.